

185849 - هل مكث النبي صلى الله عليه وسلم في مكة قبل الهجرة عشر سنين أو ثلاث عشرة

سنة ؟

السؤال

يخرج أناس علينا بهذا الحديث في محاولة لدحض الحق : الحديث في البخاري الجزء السابع كتاب 72 رقم (787) ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ : " كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلَا بِالْقَصِيرِ ، وَلَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ وَلَا بِالْأَدَمِ ، وَلَا بِالْجَعْدِ الْقَطِطِ وَلَا بِالسَّبِطِ ، بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَأَقَامَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ وَبِالْمَدِينَةَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رَأْسِ سِتِّينَ سَنَةً وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "

وحديث آخر عن ابن عباس: " بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً ، يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أُمِرَ بِالْهَجْرَةِ ، فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ "

فما قولكم في الفرق بين الحديثين ؟ ، وكيف يجمع بينهما ؟

الإجابة المفصلة

أولا :

المشهور الذي عليه جمهور أهل العلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أقام بمكة قبل النبوة أربعين سنة ، وأقام بها بعد النبوة ثلاث عشرة سنة ، وأقام بالمدينة بعد الهجرة عشر سنين ، ومات وهو ابن ثلاث وستين سنة - صلى الله عليه وسلم . قال النووي رحمه الله :

" وَاتَّفَقُوا أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقَامَ بِالْمَدِينَةِ

بَعْدَ الْهَجْرَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَبِمَكَّةَ قَبْلَ النَّبُوَّةِ أَرْبَعِينَ سَنَةً

، وَإِنَّمَا الْخِلَافُ فِي قَدْرِ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ بَعْدَ النَّبُوَّةِ ، وَقَبْلَ

الْهَجْرَةِ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهَا ثَلَاثَ عَشْرَةَ ، فَيَكُونُ عُمره ثَلَاثًا

وَسِتِّينَ ، وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ أَنَّهُ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ أَرْبَعِينَ

سَنَةً هُوَ الصَّوَابُ الْمَشْهُورُ الَّذِي أَطْبَقَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ " انتهى .

وهذا هو منطوق ما رواه البخاري (3902) ومسلم (2351) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ

اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : " بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ لِأَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَمَكَثَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً

يُوحَى إِلَيْهِ ، ثُمَّ أَمَرَ بِالْهَجْرَةِ فَهَاجَرَ عَشْرَ سِنِينَ ، وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ ” .

وأما ما رواه البخاري (3547)

ومسلم (2347) . أيضا . عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، يَصِفُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( كَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ وَلَا بِالْقَصِيرِ أَزْهَرَ اللَّوْنِ لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ وَلَا أَدَمَ ، لَيْسَ بِجَعْدٍ قَطِطٍ وَلَا سَبُطٍ رَجُلٍ ، أَنْزَلَ عَلَيْهِ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ ، فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ، وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ، وَقَبِضَ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عَشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ ) .

فللعلماء في الجمع بين

الحديثين طرق:

الأولى : إلغاء الكسر في حديث أنس ، وإثباته في حديث ابن عباس ؛ فيكون حديث ابن عباس قد دقق في عد السنوات ، وأما حديث أنس فقد اهتم بذكر العشرة ( العقد ) ، ولم يعتن بنقل الكسر الزائد عليها ، وهي طريقة للعرب ، حيث كانت أمة أمية .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

” قَوْلُهُ : ( فَلَبِثَ بِمَكَّةَ عَشْرَ سِنِينَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ ) مُقْتَضَى هَذَا أَنَّهُ عَاشَ سِتِّينَ سَنَةً ، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ ” وَهُوَ مُوَافِقٌ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ الْمَاضِي قَرِيبًا وَبِهِ قَالَ الْجُمْهُورُ ، وَقَالَ الْإِسْمَاعِيلِيُّ : لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الصَّحِيحَ أَحَدَهُمَا ، وَجَمَعَ غَيْرُهُ بِالْعَاءِ الْكَسْرِ ” انتهى من ” فتح الباري ” (6/570) .

وقال النووي :

” اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ أَصَحَّ الرِّوَايَاتِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ ... وَرِوَايَةُ سِتِّينَ إِفْتَضَرَ فِيهَا عَلَى الْعُقُودِ وَتَرَكَ الْكَسْرَ ” انتهى من ” شرح مسلم ” (15/99) .

وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر الاختلاف :

” وَهَذَا لَا يُنَافِي مَا تَقَدَّمَ عَنْ أَنَسٍ ، لِأَنَّ الْعَرَبَ كَثِيرًا

مَا تَحْذِفُ الْكُسْرَ " انتهى .  
"البداية والنهاية" (5/ 257) .

والذي يدل عليه أن كل من  
رؤى عنه من الصحابة ما يخالف المشهور جاء عنه رواية تضبط العدد ، على حسب القول  
الآخر المشهور .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" قَوْلُهُ : ( لَبِثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ عَشْرَ  
سِنِينَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ وَبِالْمَدِينَةِ عَشْرَ سِنِينَ ) وَهَذَا  
ظَاهِرُهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَاشَ سِتِّينَ سَنَةً ، إِذَا  
إِنْصَمَّ إِلَى الْمَشْهُورِ أَنَّهُ بُعِثَ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ ، لَكِنْ  
يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الرَّاوي أَلْعَى الْكُسْرَ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ فِي  
الْوَفَاةِ النَّبَوِيَّةِ ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ رَوَى عَنْهُ أَنَّهُ عَاشَ سِتِّينَ  
أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِ وَسِتِّينَ ، جَاءَ عَنْهُ أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا  
وَسِتِّينَ .

فَالْمُعْتَمَدُ أَنَّهُ عَاشَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ ، وَمَا يُخَالِفُ ذَلِكَ إِذَا  
أَنْ يُحْمَلَ عَلَى إِلْغَاءِ الْكُسْرِ فِي السِّنِينَ ، وَإِنَّمَا عَلَى جَبْرِ  
الْكُسْرِ فِي الشُّهُورِ " انتهى من " فتح الباري " (9/4) .

الطريقة الثانية : أن يحمل

قول من قال : مكث ثلاث عشرة سنة ، على أنه عدّ ذلك من أول نزول الوحي ، وأما من  
قال : مكث عشرا ، فقد عدّ من بعد فترة الوحي ؛ فإن الوحي فتر زمننا ، ثم حمي  
وتتابع .

قال ابن كثير رحمه الله :

" قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ  
دَاوُدَ بْنِ أَبِي هِنْدَ عَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ : " أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَزَلَتْ عَلَيْهِ التُّبُوَّةُ وَهُوَ ابْنُ  
أَرْبَعِينَ سَنَةً ، فَقُرِنَ بِتُّبُوَّتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلَاثَ سِنِينَ ،  
فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ ، وَلَمْ يَنْزِلِ الْقُرْآنُ ،  
فَلَمَّا مَضَتْ ثَلَاثَ سِنِينَ قُرِنَ بِتُّبُوَّتِهِ جِبْرِيلُ فَتَدَلَّ  
الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً عَشْرًا بِمَكَّةَ وَعَشْرًا

بِالْمَدِينَةِ ، فَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً .  
قال ابن كثير: فَهَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ إِلَى الشَّعْبِيِّ ، وَهُوَ يَفْتَضِي  
أَنَّ إِسْرَافِيلَ قُرِنَ مَعَهُ بَعْدَ الْأَرْبَعِينَ ثَلَاثَ سِنِينَ ثُمَّ  
جَاءَهُ جِبْرِيلُ ” انتهى من “البداية والنهاية” (4/3) .

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (8/151):  
” وَقَدْ جَمَعَ الشَّهْلِيُّ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ الْمَحْكِيَيْنِ بِوَجْهِ  
آخِرٍ ، وَهُوَ أَنَّ مَنْ قَالَ : مَكَتَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ عَدًّا مِنْ أَوَّلِ مَا  
جَاءَهُ الْمَلَكُ بِالنَّبُوءِ ، وَمَنْ قَالَ : مَكَتَ عَشْرًا أَحَدًا مَا بَعْدَ  
فَثْرَةِ الْوَحْيِ وَمَجِيءِ الْمَلَكِ بِهَا الْمُدَّتَّر ” انتهى .

وقال أيضا في الفتح (9/4):  
” أَوْ أَنَّهُ عَلَى رَأْسِ الْأَرْبَعِينَ قُرِنَ بِهِ مِيكَائِيلُ أَوْ  
إِسْرَافِيلَ ، فَكَانَ يُلْقِي إِلَيْهِ الْكَلِمَةَ أَوْ الشَّيْءَ مُدَّةَ ثَلَاثِ  
سِنِينَ ، كَمَا جَاءَ مِنْ وَجْهِ مُرْسَلٍ ، ثُمَّ قُرِنَ بِهِ جِبْرِيلُ فَكَانَ  
يُنزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ مُدَّةَ عَشْرِ سِنِينَ بِمَكَّةَ ” انتهى .

والله تعالى أعلم .